توثيق ذاكرة الكويت (2-2)

كتاب وآراء | 21 نوفمبر 2016 | 3,522 | 0 تعليق

فيصل الزامل

قبل 101 سنة، غرقت سفينة «بن سفيح» في بداية سبتمبر من عام 1915/ 1333 هجرياً مقابل المشعاب، كان عدد البحَّارة 35، قرر عشرة منهم السباحة إلى البر، ومنهم خالد الجابر يرحمه الله، وهو من مواليد 1900، كان الماء قليل البرودة والبحر هائجاً، استخدموا طوفاً خشبياً للتعلّق به أثناء السباحة، وبعد 36 ساعة من السباحة نجا اثنان فقط، كانت البداية في فترة الضحى وامتدت إلى عصر الْيَوْمَ التالي، وفي الليل كان السمك ينهش من لحم أقدامهما وهما يدفعانه عنها، يقول خالد الجابر: «اقتربنا من الساحل إلا أنه كانت بيننا وبينه تيارات مائية تخرج من خور المشعاب فخارت قواي، شعرت بأن شيئاً يسحبني إلى قعر البحر، فقررت أن استسلم للغرق من التعب، قلت لصاحبي سعد، «أنا انتهيت خلاص».

قال لي «خالد، من اللي يحيي ويميت؟»

قلت «الله»

قال «إن كنّا بنطلع ونعيش من بيطلعنا؟» قلت «الله».

قال «بس... توكل على واحد أحد، ما من غيره».

يقول خالد: «أعادت كلماته لي الأمل بالحياة، وأحسست بالدم يتحرك بقوة في عروقي، فواصلت السباحة».

وصل الاثنان إلى اليابسة بغير ملابس، ثم زحفا لأعلى الساحل الرملي واستسلما إلى النوم تحت شمس العصر، واستيقظا قبيل الليل ومشيا يبحثان عمن ينجدهما، فشاهدا سفينة «شوعي» تقف قرب الساحل وقد نزل منها بعض بحارتها، ركض إليهم سعد، فلما عرفه أحدهم وناداه «.. الله.. يا.. سعد؟ أنت سعد؟» سقط ذلك الرجل الشجاع على الأرض وانخرط في بكاء حار.

سيطر الذهول على البحَّارة لما عرفوا بما جرى ولم يأكلوا طعام عشاء تلك الليلة من الألم للأرواح التي غرقت.

هذه نبذة اختصرت فيها صفحة من السيرة الذاتية لأهل الخليج الذين أخذ منهم البحر آباء وشباباً، والذي عاش منهم حرقت الشمس عافيته، وأكلت حبال السفن يده وقوته، ومن نجا من كل ذلك لم ينج من الديون، إذا لم تنجح رحلة الغوص في تحقيق عائد يسد بها الديون، فيخسر منزله المرهون، ويعيش على الصدقات.

تمنيت أن تتحول «طبعة بن سفيح» إلى عمل إعلامي يحفظ كفاح أجيال نحن ثمرتها، والكويت نتاجها، ومن الوفاء لهم ألا تتيه تلك السيرة في غياهب النسيان.

و... المرجع الأهم لها هو حديث العم خالد الجابر، التفصيلي، الذي وثقه سيف مرزوق الشملان، جزاهما الله عن وطنهما كل خير.

لقاء مع العم خالد الجابر، أجراه معه العم سيف الشملان، سنة 1966
https://youtu.be/DL2qn4l0gil .....
فيصل عبدالعزيز الزامل